مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٢: ١-١١)

لمَّا حلَّ يومُ الخمسينَ كانَ الرسلُ كلُّهم معاً في مكانٍ واحد* فحدث بغتةً صوتٌ من السماءِ كصوتِ ريحٍ شديدةٍ تَعسِفُ وملأَ كلَّ البيتَ الذي كانوا جالسينَ فيه* وظهرت لهم ألسِنةٌ متقسِّمةٌ كأنَّها من نارٍ فاستقرَّت على كلِّ واحدٍ منهم* فامتلأوا كلُّهم من الروحِ القدسِ وطفِقوا يتكلَّمون بلُغاتٍ أخرى كما أعطاهم الروحُ أن ينطِقوا* وكانَ في أورشليمَ رجالٌ يهودٌ أتقياءُ من كلِّ أمَّةٍ تحت السماءِ* فلمَّا صار هذا الصوتُ اجتمع الجمهورُ فتحيَّروا لأنَّ كلَّ واحدٍ كان يسمعُهم ينطِقون بلغتِه* فدهِشوا جميعُهم وتعجَّبوا قائلينَ بعضُهم لبعضٍ أليس هؤلاءِ المتكلِّمونَ كلُّهم جليليين* فكيف نسمعُ كلٌّ منَّا لغتَه التي وُلد فيها* نحن الفرتيين والماديينَ والعيلاميينَ وسكَّان ما بين النهرين واليهودية وكبادوكية وبُنطُسَ وآسِيَةَ*

ها أنذا أصنع كل شيء جديداً

«ويكون بعد ذلك أني أسكُبُ روحي على كلِّ بشرٍ فيتنبَّأ بَنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيدِ أيضاً وعلى الإماءِ أسكب روحي في تلك الأيام» (يوئيل ٢: ٢٨-٢٩).

العدد ٢٠١٠/٢١

الأحد ٢٣ أيار

أحد العنصرة

تذكار أبينا البار ميخائيل

المعترف أسقف صونادة

إن النفس البشرية بطبيعتها تتجه نحو الله. في الشدائد والصعوبات وفي جهادها الروحي تستمد النفس البشرية قوّتها من الرب. تحاول أن تدخل في شركة معه. هذا التوق، هذا السعي المقدس هو قوة من العلي يهبها للذين تشتعل قلوبهم بحبه.

ولا يستطيع الإنسان أن ينجح في سعيه للإتحاد بالله، ما لم يكن قادراً على فهم علامات الحضور الإلهي، يستهدي بها حتى لا يضل الطريق. أنبياء العهد القديم بانتظارهم لحضور المسيح صاروا صوتاً ينادي للتنبه إلى علامات هذا الحضور. كان اليهود ينتظرون من هذا الحضور استعادة مجد شعب إسرائيل الواقع في العبودية والسبي. كانوا يشتهون مُلكاً أرضياً ذا مرتكزات روحية.

أما المسيح المتوج بالدعة والحق والبرّ فقد أقام مُلكه على مملكة ليست من هذا العالم. مملكته هذه وإن لم تكن من هذا العالم (يو ١٨: ٣٦) إلا أنها، بحلول الروح القدس يوم العنصرة، صارت كنيسة في العالم. هي مملكة مزروعة في هذا الدهر ولكنها مشدودة إلى الدهر الآتي. هذه الكنيسة تأسست على الأرض يوم العنصرة بحلول الروح القدس بشكل ألسنة نارية على التلاميذ المجتمعين في العلّية.

هذه الألسنة النارية النازلة بعد هبوب رياح عاصفة لم تستقر على الرسل فقط بل على كل الذين كانوا معهم في العلية بمن فيهم والدة الإله والنسوة اللواتي كن يخدمن يسوع. هذا الروح جعل من الصيادين رسلاً فصاروا يتكلمون بألسنة يفهمها كل بني البشر (أع ٢: ٤-١٢)، بها يوصلون بشارة القيامة والغلبة على الموت. صارت لغة الروح القدس لغة كونية تعيد توحيد الجنس البشري بعد أن قسمتها لغات الأجناس العرقية المتعددة التي حاولت بناء برج بابل، فانهار بها وانهارت.

وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية عند القيْروان والرومانيين المستوطنين* واليهودَ والدخلاء والكريتيين والعرب نسمعهم ينطِقون بألسنِتنا بعظائِم الله.

الإنجيل

(يوحنا ٧: ٣٧–٥٢)

في اليوم الآخر العظيم من العيد كان يسوعُ واقفاً فصاح قائلاً إن عطِشَ أحدٌ فليأتِ إليَّ ويشرَب* مَن آمن بي فكما قال الكتابُ ستجري من بطنه أنهارُ ماءٍ حيٍّ* (إنَّما قال هذا عن الروحِ الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه إذ لم يكنِ الروحَ القدسَ بعدُ. لأنَّ يسوعَ لم يكن بعدُ قد مُجِّدَ)* فكثيرون من الجمعِ لمَّا سمعوا كلامَهُ قالوا هذا بالحقيقةِ هو النبيُّ. وقال آخرون هذا هو المسيح* وآخرون قالوا ألعلَّ المسيحَ من الجليل يأتي* ألم يقل الكتابُ إنَّه من نسلِ داودَ من بيتَ لحمَ القريةِ حيث كان داودُ يأتي المسيحُ* فحدث شقاقٌ بين الجمع من أجلِه* وكان قومٌ منهم يريدون أن يُمسِكوهُ ولكن لم يُلْقِ أحدٌ عليه يداً* فجاء الخُدَّامُ إلى رؤساءِ الكهنةِ والفريسيين فقال هؤلاء لهم لِمَ لم تأتوا به* فأجاب الخدَّامُ لم يتكلَّم قطُّ إنسانٌ هكذا مثلَ هذا الإنسان*

صارت لغة الروح القدس المتعددة في وحدانيتها حاملة إلى كل أمم الأرض بشارة الحياة الجديدة التي لا يحتويها قبر ولا يتسلّط عليها موت.

انحدار الروح القدس على الرسل يوم العنصرة لم يكن حدثاً حصل في لحظة محددة من التاريخ البشري وانتهى عندها. إن السيد وعد تلاميذه بأن يرسل لهم الروح المعزي الذي سيبقى مع كنيسته وفيها حتى منتهى الدهر. «أنا أطلبُ من الآبِ فيُعطيكم مُعزِّياً آخر ليمكُثَ معكم إلى الأبد. روحُ الحقِّ الذي لا يستطيعُ العالم أن يقبلَه لأنَّه لا يراهُ ولا يعرِفه. وأمَّا أنتم فتعرِفونَهُ لأنَّه ماكِثٌ معكم ويكونُ فيكم» (يو ١٤: ١٦–١٧). هذا الروح يحرّك الكنيسة، يقودها بواسطة الإبن نحو الله الآب، يحفظها من الشرير. الروح القدس يُنزِل ملكوت السموات إلى الأرض. الروح القدس يَدخل في الزمن البشري ويشرّع لنا أبواب الملكوت الآتي الآن وهنا.

بحلول الروح القدس ننال ككنيسة حياة جديدة، نصبح شعباً خاصاً لله الذي اقتنانا بدمه على الصليب. نتحوّل أمّة مقدسة. وبما ان الجماعة الكنسيّة مؤلفة من أعضاء، فإن هذا التحوّل يطال كل واحد منا بصورة خاصة وشخصية. كل واحد منا اعتمد بيسوع المسيح يلبس شخصياً يسوع المسيح «لأنَّ كلَّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غلا٣: ٢٧). يصبح مسيحاً. الروح القدس يجعل العلاقة الشخصية الكيانية والحميمة مع الله ممكنة. يشفي الغليل البشري التواق إلى الله بصورة طبيعية. هذه العلاقة الفريدة والفردية والخاصة بين الخالق والمخلوق التي هي مستحيلة بقدرة الإنسان وقوته صارت بمتناول الإنسان وسهلة المنال بنعمة الروح القدس التي تحل على كل إنسان يوم معموديته. ما كان يتطلب جهاداً أعطي لنا مجاناً.

العنصرة حَدَث مستمر في حياة البشر لأنه يجعل الإنسان مقيماً في حضرة الله الدائمة. بالعنصرة تصبح الأرض سماء. بالعنصرة تتقدَّس المادة وتشفى من البلى. مكوّناتها الأساسية الأربعة (الماء والتراب والهواء والنار) تتقدَّس بحلول الروح القدس بشكل ألسنة نارية وهبوب رياح عاصفة.

بالعنصرة يلبس الزمن معنى آخر، وكل شيء يصبح جديداً، «ها أنا أصنع كل شيء جديداً» (رؤ ٢١: ٥). العنصرة هي شفاء الزمن المريض المتجزئ بماضيه وحاضره ومستقبله. هي شفاء الزمن المريض باستعادته لوحدته، لحظة أبدية واحدة منسكبة عند أقدام الله. العنصرة هي تمكين المعرفة العقلية من بلوغ مستوى الفهم وإعطاء الفهم قدرة الحب وتحويل الحب إلى عشق إلهي يقدس بلهيبه الكون ليصيّره ملكوتاً، أرضاً جديدة وسماء جديدة تنادي وتصرخ قائلة: تعالَ أيها الرب، تعال.

رسالة الكنيسة

«يشبه ملكوت السموات إنساناً ملِكاً صنع عرساً لابنه وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس» (متى ٢٢: ٢).

تقوم نظرة آباء الكنيسة القديسين إلى ماهية وجود الكنيسة وأبعاد رسالتها في التاريخ على العلاقة العضوية والحيوية القائمة ما بين

فأجابهم الفريسيون ألعلَّكم أنتم أيضاً قد ضَلَلْتُم* هل أحدٌ من الرؤساءِ أو من الفريسيين آمن به* أمَّا هؤلاء الجمعُ الذين لا يعرفون الناموسَ فهم ملعونون* فقال لهم نيقوديمُس الذي كان قد جاء إليه ليلاً وهو واحدٌ منهم* ألعلَّ ناموسَنا يدينُ إنساناً إن لم يسمع منه أولاً ويعلَم ما فعل* أجابوا وقالوا له ألعلَّكَ أنت أيضاً من الجليل. إبحث وانظر إنَّه لم يَقُم نبيٌّ من الجليل* ثم كلَّمَهم أيضاً يسوعُ قائلاً أنا هو نورُ العالَم مَن يتبَعني فلا يمشي في الظلام بل يكونُ له نورُ الحياة.

تأمل

إن الروح القدس يعمل كل شيء للخير وللخلاص. إن مجيئه لطيف، والشعور الذي يثيره عذب، ونيره خفيف. تسبق مجيئَه أشعةٌ من النور والمعرفة. انه يأتي بأحشاء مؤيّدٍ حق، لأنه يأتي ليخلّص ويشفي، ليعلّم ويحذّر، ليقوّي ويعزّي، لينير العقل. انه ينير عقل مَن يتقبّله، وبواسطته عقولَ الآخرين. وكما ان الذي يكون في الظلام ويفتح عينيه فجأة على ضوء الشمس، يرى بوضوح ما لم يكن يراه من قبل، كذلك الذي يسكن فيه الروح القدس تستضيء نفسه ويرى أشياء تفوق

حياتنا الكنسيّة الآنية وملكوت الله السماوي السرمدي. وقد حملت مسرة الإله الحي، المستعلنة للإنسان بأشكال وطرق مختلفة عبر تاريخ التدبير الإلهي (عب ١: ١)، في كلام الأنبياء والظهورات الإلهية المتعدّدة، وعوداً بالخلاص الآتي، وبأن القدوس سيفتقد خراف حظيرته ويعتقهم: «وأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً» (٢ كور ٦: ١٦).

وقد طال انتظار الإنسانية وترقبها لمن هو آت ليقدّس جنس الأنام. فإن عرس الإبن الحبيب، الذي به سُرّ الآب، ما كان ليحصل لو لم يجد الرب الإله فتاةً عذراء نقية من اليهودية، قبلت بوداعة وتسليم كامل بشارة الملاك بأنها ستصير «كمال تدبير الخالق». مريم الفائقة القداسة أعطت الإله مسكنه الحي بين البشر.

أما علامات دنو الملكوت، بل حضوره الحقيقي بين الناس، فقد ظهرت في نهر الأردن وعلى جبل ثابور، وفي شفاء المرضى وتطهير البرص وإنارة العميان وإنهاض المخلّعين، وإقامة الموتى. لكن المحبة الإلهية الكاملة، التي كُشفت على عود الصليب، هي التي أحدثت التبديل الجذري في واقع الإنسان. دم المسيح المهراق على الصليب أسّس عهداً جديداً بين الله وشعبه، عهد القيامة والمجد.

طبيعة جنس الأنام استوعبت نور قيامة المسيح، نور الحياة الإلهية الأزلية. العنصرة المقدسة أتت لتعلن فيض نعمة الروح القدس على كل مَن يؤمن بالإبن ويحفظ وصاياه. فكان بهذا اكتمال تحقيق مسرة الله على الأرض والإعلان الأجلى لسر الكنيسة.

والكنيسة في حياتنا نحن هي إمكانية تجلّي واقع حياتنا وإغنائه بالنعمة. تجاهد الكنيسة في الصيرورة التاريخية لتّتحد وتتماهى مع ملكوت السموات. شعب الله الجديد يسعى ليرتقي إلى مشيئة خالقه ومسرّته. فتتركز محاولته على أن يبقى متحداً ومشيئة الله، على مثال المسيح، الذي في سر تجسده، أظهر إمكانية الإتحاد الكامل غير المنفصل ما بين المشيئة الإلهية الفائقة الأزمان، والمشيئة البشرية الوقتية. أظهر إمكانية الإتحاد بين الله والشخص البشري حيث يتجلّى كيان الإنسان، وتُستعلن فيه مشيئة الآب السماوي «كما في السماء كذلك على الأرض».

الرسول بولس إذ يعالج ما يختص بسر الزواج في رسالته إلى أهل أفسس يؤكد على حقيقة الإتحاد بين المسيح والبشر في قوله «هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة» (٥: ٣٢).

وعرس حمل الله هذا مع الإنسانية، أي هذا الإتحاد للمسيح مع كنيسته، هو أساس سر الخلاص ورسالة الكنيسة البشارية، التي تهب معنًى لوجودنا على الأرض. «فإني أغار عليكم غيرة الله لأني خطبتكم لأقدم عذراء عفيفة للمسيح» (٢ كو ١١: ٢).

القديس غريغوريوس بالاماس يوضح أن المسيح، ختن كل نفس نقية، «يقتادها مقترناً بها سرّياً في عرس، مانحاً إياها فرح الآب». فإن آباء الكنيسة يجمعون على أن مجد الإله وقوّته ومحبته تتنازل لتلاقي الإنسان في عمق سقطته إذا ما استعاد حس التوبة ومسعى التنقية الروحية.

وهذا التصحيح لمسار الشخص البشري بل الإنسانية جمعاء هو

مرأى الإنسان، ولم يكن يعرفها. إن جسده على الأرض، لكن نفسه تعكس السموات كالمرآة، فترى كما رأى اشعياء: «الرب جالساً على عرش عال» (٦: ١). والإنسان، هذا الكائن المتناهي، الصغير، يرى بداية العالم ونهايته، والأوقات التي تتوسّطهما، ويعرف تعاقب الممالك. وهي كلها أشياء لم يتعلّمها، لأن المنير الحق حاضر فيه. تحيط الأسوارُ بالإنسان، لكن عقله يذهب به إلى بعيد، فيرى ما يحدث عند الآخرين.

... وإذا طرأت على خاطرك فكرةٌ عن الطهارة أو البتولية، وأنت جالس، فهي من وحيه. ألا يحدث غالباً أن تهرب عذراء، وهي على عتبة الزواج، بوحي منه عن جمال البتولية؟ ألا يحدث غالباً أن رجلاً ذا نفوذ في البلاط المكلي، يحتقر الغِنى والجاه بوحي من الروح القدس؟ ألا يحدث غالباً أن يغضّ شاب الطرف عن رؤية فتاة جميلة خوفاً من الدنس؟ هل تبحث عن سبب ذلك؟ هو الروح القدس الذي علّم نفس الشاب. العالم مليء بالجشع، ويفضّل المسيحيون الفقر، لماذا؟ بسبب تعليم الروح القدس. في الواقع يستحق الروح القدس كل إكرام وإجلال. فبحق نحن معمَّدون باسم الآب والإبن والروح القدس.

القديس كيرلس الأورشليمي

عمل الكنيسة الأساس، التي تتعهد تاريخ الإنسان وحضارته، لتمنحهما معنى وغاية خلاصيتين، حين بالنعمة الإلهية، والأسرار المقدسة، وصلاة شعب الله المتقدس، تنيرهما، وتقدسهما، وتؤلّههما، وتهبهما كياناً أبدياً.

عمل البشارة يجعل حياة الإنسان ونشاطه وكل خطوة يخطوها شركة في محبة الله ومسكناً لملكوت السموات في واقع الناس.

في الإبن والروح القدس

إذا قلنا بأن الآب مبدأ الإبن وأعظم منه، فلسنا نعني أنه يفوق الإبن زمناً أو طبيعةً، لأنه «به أنشأ الدهور» (عبر ١: ٢)، ولا أنه يفوقه بشيء آخر سوى العلّة، أي أنّ الإبن وُلد من الآب، لا الآب من الإبن، وأنّ الآب علّةُ الإبن بحسب الطبيعة، كما نحن نقول بأنّ النار ليست صادرة من النور، بل بالأحرى النور من النار. إذاً عندما نسمع أنّ الآب مبدأ الإبن وأنه أعظم منه، نفكر بالعلّة. وعلى نحو ما نقول بأن ليس جوهر النار سوى جوهر النور، على نحو ذلك نقول – كما يبدو واضحاً – أن ليس جوهر الآب سوى جوهر الإبن، بل هما واحد وهما الشيء نفسه. وكما نقول إن النار تظهر بالنور الصادر منها، ولسنا نحسب أنّ النور – الذي هو من النار – آلةٌ خادمةٌ لها، بل أنه قوّتُها الطبيعية، كذلك إنه مهما يعمل الآب يعمله بابنه – ليس كما بعضو للخدمة – بل بقوّته الطبيعية الأقنومية. وكما نقول إنّ النار تضيء ونقول أيضاً إن النور يضيء، كذلك نقول: «مهما يعمله الآب فهذا يعمله الإبن» (يو ٥: ١٩). لكنّ الفرق أنّ النور لا أقنومَ له خاصًّا متميّزاً عن النار، وأن الإبن أقنومٌ كاملٌ غيرُ منفصل عن الأقنوم الأبوي، كما أثبتنا ذلك في ما تقدّم.

وبالمثل، نؤمن أيضاً بالروح القدس الواحد، الرب المحيي، المنبثق من الآب والمستريح في الإبن والمسجود له والممجَّد مع الآب والإبن، على أنه مساوٍ لهما في الجوهر والأزليّة، الروح الذي هو من الله، المستقيم، صاحب الأمر وينبوع الحكمة والحياة والتقديس، – لأنه إلهٌ مع الآب والإبن فعلاً واسماً – غير المخلوق، الممتلئ، المبدع، صاحب الاقتدار، كامل الفعالية والقوة، لا حدَّ لقوّته، المتسلِّط المُطلَق على الخليقة كلها. يؤلِّه ولا يتألَّه، يملأ وليس ما يملأه، يُستَمَدّ منه ولا يَستمِدّ، يُقدِّس ولا يتقدَّس، يُلجأ إليه لتقبّله استغاثات الجميع. مساوٍ للآب والإبن في كل شيء. منبثقٌ من الآب وموهوبٌ بالإبن فتناله الخليقة كلها. خالقٌ بذاته، يكوّن الكل ويقدّسه ويعتني به، قيوم بأقنومه الخاص، غير مفترق ولا منفصل عن الآب والإبن. له كل ما للآب والإبن عدا اللاولادة والولادة، فإنّ الآب غير معلول وغير مولود – لأنه ليس من أحد، بل له وجوده من ذاته، ولا شيء ممّا هو له كان من غيره، بل بالأحرى هو لكليهما بالطبيعة المبدأ وعلّة كيفيّة الوجود. أمّا الإبن فهو من الآب بالولادة. والروح القدس هو أيضاً من الآب، لكن لا بالولادة بل بالإنبثاق. ونحن نعلم أنّ هناك فرقاً بين الولادة والانبثاق لكننا نجهل كيفيّته. وإننا نعلم أيضاً بأنّ ولادة الإبن وانبثاق الروح القدس من الآب كانا معاً.

القديس يوحنا الدمشقي

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb